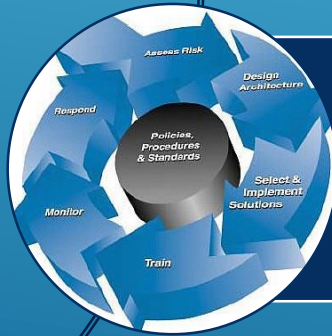


الموضوع الأول: مفهوم منهج البحث ومقدمة عن
مناهج البحث في علم الآثار وتحولاتها وأهداف
علم الآثار.



لقد شاعت كلمة " منهج " أو " مناهج " في العلم الحديث, وكانت أكثر شيوعا, في مجال العلوم الاجتماعية خاصة, علم الاجتماع والأنثروبولوجيا, وحسب العديد من العلماء والمفكرين, فإن كلمة منهج هي وليدة المباحث والميادين المنطقية, حيث يقول في هذا المجال العالم الفرنسي " لالاند " : أن مناهج العلوم (Méthodologie) تعد جزءا هاما من أجزاء المنطق, وميدانا أساسيا من ميادينه.



وكانت فكرة المنهج " Méthode " بالمعنى الاصطلاحي, قد أطلقت بداية من القرن السابع عشر على يد " فرانس بيكون " ثم وافقه العديد من العلماء, وصار الاهتمام أكثر بالمنهج التجريبي, ومن ثمة أصبح معنى كلمة " المنهج " : " هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة

تفرد علم الآثار بمناهج خاصة ، يرجع أساسا إلى خصوصية طبيعة البحث الأثري باعتباره بحثا ميدانيا، تتم معظم مراحله في الموقع الأثري. وهذا لا ينفي بأي شكل من الأشكال ضرورة اعتماده على مناهج البحث الأخرى التي يشترك فيها مع بقية العلوم الإنسانية من مثل المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن وغيرها من المناهج التي يبدأ بها وينتهي إليها. وبالتالي فإن خصوصية علم الآثار على اعتباره علما حقليا و ميدانيا تجعل من منطلقاته ونتائجه محطات نظرية ذات مناهج متعددة.

إن علم الآثار هو الدراسة العلمية لمخلفات الحضارة الإنسانية الماضية ويتحرى الأثريون حياة الشعوب القديمة، وذلك بدراسة مخلفاتها. وتشمل تلك المخلفات أشياء مثل: المباني والقطع الفنية، والأدوات والعظام والخزف. وقد يقوم علماء الآثار باكتشافات مثيرة، مثل اكتشاف قبر يغص بالحلي الذهبية، أو بقايا معبد فخم في وسط الأدغال. ومع ذلك فإن اكتشاف قليل من الأدوات الحجرية أو بذور من الحبوب المتفحمة، ربما يزيح الستار بشكل أفضل عن جوانب كثيرة من حياة تلك الشعوب. واكتشاف أنواع الأكل التي كان الناس يتناولونها في الأزمنة الغابرة، يجعلنا ندرك أوجه الشبه بين حياة أولئك القوم وحياتنا الحالية. وما يكتشفه عالم الآثار، بدءًا من الصروح الكبيرة وانتهاء بالحبوب، يسهم في رسم صورة عن معالم الحياة في المجتمعات القديمة.











فالبحت الأثري هو السبيل الوحيد المساعد على استنطاق أوجه الحياة في المجتمعات التي وُجدت قبل اختراع الكتابة منذ خمسة آلاف عام تقريبًا. كما أن البحث الأثري نفسه يشكّل رافدًا مهمًا في إغناء معلوماتنا عن المجتمعات القديمة التي تركت سجلات مكتوبة. ويُعدُّ علم الآثار في القارة الأمريكية، فرعًا من الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)؛ وهي دراسة الجنس البشري وتراثه الفكري والمادي. ويرى علماء الآثار في أوروبا أن عملهم هذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بميدان التاريخ، غير أن علم الآثار يختلف عن علم التاريخ من جهة أن المؤرخين يدرسون بصورة رئيسية مسيرة الشعوب استنادًا إلى السجلات المكتوبة، ويرجع هذا الاختلاف في تصنيف إنتماء علم الآثار إلى الاختلاف بين المدرستين حول طبيعة الأنثروبولوجيا في حد ذاتها.

ويدرج علم الآثار في أمريكا ضمن الانثروبولوجيا الثقافية . باعتبار أن علماء الآثار هم أنثروبولوجيون متخصصون في إعادة بناء وتحليل ثقافات الماضي . في الجانب الآخر يختلف معنى الانثروبولوجيا الثقافية من بلد إلى آخر حيث تشار إليها في فرنسا مثلاً باسم الاثنولوجى أو الاثنوغرافيا وفى بعض الأحيان تدرس الانثروبولوجيا الثقافية تحت مظلة علم الاجتماع (Sociology). وكذا الحال مع الآثار الذي يعتبر علم قائم بذاته في دراسة الإنسان وثقافته. كما يضم علم الآثار فروعاً أخرى تساهم إلى حد كبير في دراسة الإنسان من كافة جوانبه مثل علم الآثار البيئي وعلم آثار ما قبل التاريخ وعلم الآثار التاريخي .. الخ .

ويتطلع علماء الآثار إلى معرفة الكيفية التي تطورت بها الحضارات، وإلى معرفة المكان والزمان اللذين حدث فيهما هذا التطور. وكذلك يبحث هؤلاء - شأنهم شأن دارسي العلوم الاجتماعية - عن أسباب التغيرات الأساسية التي جعلت الناس في العالم القديم، يتوقفون عن الصيد - مثلاً - ويتحولون إلى الزراعة.

ويطوّر آثاريون آخرون نظريات تتعلق بالأسباب التي حدثت بالناس لبناء المدن وإقامة الطرق التجارية. وبالإضافة إلى ذلك يبحث بعض علماء الآثار عن الأسباب الكامنة وراء سقوط المدن السابقة، كحضارة المايا في أمريكا الوسطى، وحضارة الرومان في أوروبا والحضارة الفرعونية.

وليتمكن الأثاريون من تحقيق هذه الأهداف وغيرها لبد لهم من مناهج البحث العلمي وتقنياته، وعلم الآثار على إعتباره فرع من العلوم الإنسانية؛ فهو يعتمد على المناهج الأساسية للعلوم الإنسانية: المنهج الوصفي والمنهج والمناهج المقارن، وهذا يكون خاصة في الشق النظري من البحث الأثري، أما في الشق الميداني نجد علم الآثار يعتمد على مناهج مختلفة (التنقيب، التصنيف، التأريخ، الترميم) تبرز تميز خصوصيته عن بقية العلوم.